تفسير ابن كثير

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ^ج وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ^ط فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ

يقول تعالى : وكما جعلنا لك - يا محمد - أعداء يخالفونك ، ويبعادونك جعلنا لكل نبي من

قبلك أيضا أعداء فلا يهيدنك ذلك ، كما قال تعالى : (فإن كذبوك فقد كذب رسل من

قبلك) [آل عمران : 184] ، وقال تعالى : (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على

ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) [الأنعام : 34] ، وقال تعالى : (ما يقال لك إلا ما

قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) [فصلت : 43] ، وقال

تعالى : (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا) [

الفرقان : 43] . وقال ورقة بن نوفل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه لم يأت أحد

بمثل ما جئت به إلا عودي . وقوله : (شياطين الإنس والجن) بدل من (عدوا) أي :

لهم أعداء من شياطين الإنس والجن ، ومن هؤلاء وهؤلاء ، قبحهم الله ولعنهم . قال

عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله تعالى (شياطين الإنس والجن) قال : من

الجن شياطين ، ومن الإنس شياطين ، يوحى بعضهم إلى بعض ، قال قتادة : وبلغني أن
أبا ذر كان يوما يصلي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " تعوذ يا أبا ذر من شياطين
الإنس والجن " فقال : أو إن من الإنس شياطين ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
: " نعم " . وهذا منقطع بين قتادة وأبي ذر وقد روي من وجه آخر عن أبي ذر ، رضي الله
عنه ، قال ابن جرير : حدثنا المثنى ، حدثنا أبو صالح ، حدثني معاوية بن صالح ، عن أبي
عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة ، عن ابن عائذ ، عن أبي ذر قال : أتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس قد أطال فيه الجلوس ، قال ، فقال : " يا أبا
ذر ، هل صليت؟ " قال : لا يا رسول الله . قال : " قم فاركع ركعتين " قال : ثم جئت
فجلست إليه ، فقال : " يا أبا ذر ، هل تعوذت بالله من شياطين الجن والإنس؟ " قال :
قلت : لا يا رسول الله ، وهل للإنس من شياطين؟ قال : " نعم ، هم شر من شياطين الجن
" وهذا أيضا فيه انقطاع وروي متصلا كما قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا
المسعودي ، أنبأني أبو عمر الدمشقي ، عن عبيد بن الخشخاش ، عن أبي ذر قال : أتيت
النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد ، فجلست فقال : " يا أبا ذر هل صليت؟ " قلت

: لا . قال : " قم فصل " قال : فقامت فصليت ، ثم جلست فقال : " يا أبا ذر ، تعوذ بالله
من شر شياطين الإنس والجن " قال : قلت يا رسول الله ، وللإنس شياطين؟ قال : " نعم
" . وذكر تمام الحديث بطوله . وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره ، من
حديث جعفر بن عون ، ويعلى بن عبيد ، وعبيد الله بن موسى ، ثلاثتهم عن المسعودي ،
به . طريق أخرى عن أبي ذر : قال ابن جرير : حدثني المثنى ، حدثنا الحجاج ، حدثنا
حماد ، عن حميد بن هلال ، حدثني رجل من أهل دمشق ، عن عوف بن مالك ، عن
أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يا أبا ذر ، هل تعوذت بالله من شر
شياطين الإنس والجن؟ " قال : قلت يا رسول الله ، هل للإنس من شياطين؟ قال : " نعم
" . طريق أخرى للحديث : قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف الحمصي ، حدثنا
أبو المغيرة ، حدثنا معان بن رفاعه ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة رضي
الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا أبا ذر تعوذت من شياطين الجن
والإنس؟ " قال : يا رسول الله ، وهل للإنس من شياطين؟ قال : " نعم ، شياطين الإنس
والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا " فهذه طرق لهذا الحديث ،

ومجموعها يفيد قوته وصحته ، والله أعلم .وقد روى ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبو نعيم ، عن شريك ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة : (شياطين الإنس والجن) قال : ليس من الإنس شياطين ، ولكن شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس ، وشياطين الإنس يوحون إلى شياطين الجن .قال : وحدثنا الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا إسرائيل ، عن السدي ، عن عكرمة في قوله : (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) قال : للإنسي شيطان ، وللجني شيطان فيلقى شيطان الإنس شيطان الجن ، فيوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا .وقال أسباط ، عن السدي ، عن عكرمة في قوله : (يوحى بعضهم إلى بعض) في تفسير هذه الآية : أما شياطين الإنس ، فالشياطين التي تضل الإنس ، وشياطين الجن الذين يضلون الجن ، يلتقيان ، فيقول كل واحد منهما لصاحبه : إني أضلت صاحبي بكذا وكذا ، فأضلل أنت صاحبك بكذا وكذا ، فيعلم بعضهم بعضا .ففهم ابن جرير من هذا; أن المراد بشياطين الإنس عند عكرمة ، والسدي : الشياطين من الجن الذين يضلون الناس ، لا أن المراد منه شياطين الإنس منهم . ولا شك أن هذا ظاهر من كلام عكرمة ، وأما كلام السدي فليس مثله في هذا المعنى .

، وهو محتمل ، وقد روى ابن أبي حاتم نحو هذا ، عن ابن عباس من رواية الضحاك ،
عنه ، قال : إن للجن شياطين يضلونهم - مثل شياطين الإنس يضلونهم ، قال : فيلتقي
شياطين الإنس وشياطين الجن ، فيقول هذا لهذا : أضالله بكذا ، أضالله بكذا . فهو قوله : ()
يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) . وعلى كل حال فالصحيح ما تقدم من
حديث أبي ذر : إن للإنس شياطين منهم ، وشيطان كل شيء مارد ، ولهذا جاء في
صحيح مسلم ، عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " الكلب الأسود
شيطان " ومعناه - والله أعلم - : شيطان في الكلاب . وقال ابن جريج : قال مجاهد في
تفسير هذه الآية : كفار الجن شياطين ، يوحون إلى شياطين الإنس ، كفار الإنس ،
زخرف القول غرورا . وروى ابن أبي حاتم ، عن عكرمة قال : قدمت على المختار
فأكرمني وأنزلي حتى كاد يتعاهد مبتي بالليل ، قال : فقال لي : اخرج إلى الناس فحدث
الناس . قال : فخرجت ، فجاء رجل فقال : ما تقول في الوحي؟ فقلت : الوحي وحيان ،
قال الله تعالى : (بما أوحينا إليك هذا القرآن) [يوسف : 3] ، وقال الله تعالى : ()
شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) قال : فهموا بي أن

يأخذوني ، فقلت : ما لكم ذاك ، إني مفتيكم وضيغكم . فتركوني . وإنما عرض عكرمة
بالمختار - وهو ابن أبي عبيد - قبحه الله ، وكان يزعم أنه يأتيه الوحي ، وقد كانت
أخته صفية تحت عبد الله بن عمر وكانت من الصالحات ، ولما أخبر عبد الله بن عمر أن
المختار يزعم أنه يوحى إليه قال : صدق ، قال الله تعالى : (وإن الشياطين ليوحون إلى
أوليائهم) [الأنعام : 121] ، وقوله تعالى : (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول
غورا) أي : يلقي بعضهم إلى بعض القول المزين المزخرف ، وهو المزوق الذي يغتر
سامعه من الجهلة بأمره . (ولو شاء ربك ما فعلوه) أي : وذلك كله بقدر الله وقضائه
وإرادته ومشئته أن يكون لكل نبي عدو من هؤلاء . (فذرهم) أي : فدعهم ، (وما
يفترون) أي : يكذبون ، أي : دع أذاهم وتوكل على الله في عداوتهم ، فإن الله كافيك
وناصرك عليهم .